الصور البيانية في وصف الحياة الدنيا في القرآن ومعانيها

د. الحارث عبد القادر عوض الكريم*

* أستاذ البلاغة والنقد المساعد - بكلية التربية - جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

ملخـــــص

البحث يتحدث عن الحياة الدنيا في القرآن الكريم، فيصفها عن طريق الصور البيانية المتنوعة التي اشتملت عليها الآيات القرآنية. فنجد القرآن الكريم وعن طريق التشبيهات المختلفة صور حال الدنيا في تقضيها وسرعة ذهابها، كما قلل من شأنها، فقد كان هذا ضمن المبحث الأول وعنوانه: التشبيهات؛ والتي قربت الصورة للعقل البشري كما أثرت على الفطرة الإنسانية، ثم كان المبحث الثاني بعنوان: المجازات والاستعارات والكنايات ؛ والذي وصف بعض مظاهر الحياة البشرية عبر العصور المختلفة ، وقد ظهر ذلك جلياً في صور شتى ترتبط بحياة الإنسان وتصرفاته مما يجعل المؤمن يقف مشدوهاً أمام هذا الإبداع القرآني، ثم كان المبحث الثالث بعنوان: صور فنية من الطبيعة الكونية والتي تدل على خالق مبدع أحسن كل شئ خلقه، وأتقن صنعته فكان الكون المنظور آية من آيات الله سبحانه وتعالى. ولذا اشتمل البحث على عدد من الصور البيانية.

Abstract

The research talks about the worldly life in the Holy Qur'an, describing it through the various graphic images that the Qur'an verses included. So we find the Noble Qur'an, and through various similes, pictures of the state of the world in terms of its spending and the speed of its departure, and it reduced its importance, as this was within the first topic entitled: The similes Which brought the image closer to the human mind as it affected the human instinct. Then the second topic was entitled: metaphors, metaphors and metaphors; Who described some aspects of human life through different ages, and this was evident in various images related to the life of man and his actions, which makes the believer stand in awe in front of this Qur'anic creativity, then the third topic was entitled: Artistic pictures of the cosmic nature that indicate the best creative creator. He created it, and perfected its work, so the visible universe was one of the signs of God Almighty. Therefore, the search included a number of graphical images.

مقدمة

استطاع القرآن الكريم أن يصوِّر لنا الحياة الدنيا بمظاهرها المختلفة في صور شتى، حيث عبر عن حال المؤمنين و الكافرين، وصوَّر الإيمان والكفر والنفاق والشرك في صور مؤثرة في النفس البشرية، كما بين حال الإيمان بصورة تحببه للنفس كما قلل من شأن الدنيا، وصغَّرها في عين الناظرين حتى لا تشغلهم عن النعيم المدَّخر لهم في الآخرة.

تنبع أهمية هذا الموضوع في أنه يصف حال الدنيا عن طريق الصور البيانية في القرآن والتي تقرب المشهد للمتلقي ليتدبره ويتفكر فيه، ومن ثم يحدد علاقته وموقفه كفرد في هذه المنظومة الكونية علّه يجعل الدنيا مطية الآخرة كما قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

أمّا الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فهي:

أولاً: الاطلاع على النصوص القرآنية التي تصف الحياة الدنيا.

ثانياً: التعرف على معاني النصوص القرآنية التي تصف الحياة الدنيا.

ثالثاً: تحديد الصور البيانية و استخراجها من النصوص القرآنية في وصف الحياة الدنيا.

أهداف الدراسة تتمثل في الآتي:

أولاً: الوقوف عند المعاني والأوصاف التي صوّرت حال الدنيا عن طريق الآيات القرآنية.

ثانياً: استخراج الصور البيانية التي اشتملت عليها الأوصاف القرآنية.

ثالثاً: الإفادة من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

هيكل البحث:

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: **التشبيهات**.

المبحث الثاني: **المجازات والاستعارات والكنايات**.

المبحث الثالث: **صور فنية من الطبيعة الكونية**.

منهج البحث:

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي.

المبحث الأول

التشبيهات البيانية ومعانيها

قام عدد من المفسرين، واللغويين المهتمين بأمر البلاغة القرآنية بتصوير الحياة الدنيا ووصفها بصور مختلفة جاءت في تفاسيرهم و مؤلفات الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، و ظهر ذلك جلياً في الصور البيانية من تشبيهات و مجازات و استعارات و كنايات.

جاء في أضواء البيان في أوصاف الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

قال: "ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المَثل للدنيا بالنبات الناعم المختلط بالأرض و عما قليل يبس، و يكون حصيداً يابساً كأن لم يكن قط، و ضرب لها أيضاً المثل المذكور في الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

وأشار لهذا المثل في قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد: ٢٠] " التشبيه في هذه الآيات المذكورة عند البلاغيين من التشبيه المركب لأن وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء ".[1]

وجاء في تفسير الكشف والبيان عن هذا التشبيه "إنما مثل الحياة الدنيا في فنائها و زوالها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس من الحبوب والبقول و الثمار والأنعام من الحشيش والمراعي حتى إذا أخذت الأرض

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، دار الفكر بيروت لبنان ، ط 1415، 1995م ، ج 2، ص153.

زخرفها (حسنها وبهجتها) وازينت وفي قراءة وتزينت... وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا" [1]

وقال الزمخشري: "وهذا من التشبيه المركب شبهت جمال الدنيا في سرعة تقضيها و انقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التف و تكاثف وزينت الأرض خضرته ورفيفه... فجعلنا زرعها حصيداً شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله " [2]

وفي تفسير إبن كثير "ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها و سرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض... فجعلناها حصيداً أي يابساً بعد الخضرة و النضارة كأن لم تكن بالأمس أي كانها ما كانت حيناً قبل ذلك "[3]

و قال صاحب زهرة التفاسير عن هذا التشبيه "... هذا تشبيه تمثيلي جار مجرى الأمثال كما في قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ [الكهف: ٤٥][4] وتشبيه التمثيل يتميز عن بقية التشبيهات في أنّ وجه الشبه فيه منتزع من عدة صور.

و جاء في الإتقان في قوله: "إنما مثل الحياة كماء أنزلناه من السماء" إلى قوله: (كأن لم تغن بالأمس) فإن فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه إذ المقصود بتشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها و اغترار الناس بها كحال ماء نزل من السماء و أنبتت أنواع العشب وزين زخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها

(1) الكشف و البيان ، ابو اسحاق احمد بن محمد الثعلبي النيسبوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط1، ، 1422هـ ، 2002م ، ج5،ص127.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ، في وجوه التّأويل، ابو القاسم محمود الزمخشري ، دار النشر إحياء التراث العربي بيروت ، ج2، ص325.

(3) تفسير ابن كثير ،دار الفكر ، ط 1414هـ ، 1994م ، ج 2 ، ص 503.

(4) زهرة التفاسير، الإمام الجليل محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، ص 3546.

فيها و ظنوا أنها مسلّمة من الجوانح أتاها بأس الله فجاة كأنها لم تكن بالأمس"[1]

ما عرضنا له من تشبيه في الآيات الكريمة السابقة هو من باب تشبيه التمثيل الذي يكون فيه وجه الشبه منتزع من متعدد وقد كان الوصف دقيقاً محقراً شأن الدنيا مصوراً سرعة انقضائها.

وقال تعالى واصفاً من ينفق ماله رياءً وفخراً ليس لوجه الله: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وجاء في الكشاف أنه شبه ما كان ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء و حسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسّه البرد وذهب حطاماً وقيل: "هو ما كان يتقربون به لله مع كفرهم وقيل: "ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبةً لهم على معاصيهم لأن الهلاك عن سخط أشد و أبلغ "[2]

وعن وصف حال المشركين في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: 31].

جاء في الكشاف التشبيه أن يكون من المركب أو المفرق فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: "من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهوال التي

(1) الإتقان في علوم القران، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي،دار الفكر بيروت،ط 1416ه،1996م، ج2، ص116.
(2) الكشاف للزمخشري، ج1، ص433-434.

تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي به عصفت به في بعض المهاوي المتلفة "[1]

و في وصف من يدعون غير الله في دنياهم جاء في أضواء البيان "... أكثر ما في القرآن من أمثلة إنما هو من قبل التشبيه التمثيلي وهو تشبيه صورة بصورة و هو من أوضح أساليب البيان... كقوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: 14].

"... فلو نظرت إلى مثل هذا الشخص على هذه الحالة و في تلك الصورة بكل أجزائها وهو باسط يده مفرجة الأصابع إلى ماء بعيد عنه فهو فاغر فيه يشرب لقلت وأي جدوى يقود عليه ومتى يتذوق الماء وهو على هذه الحالة إنما يموت عطشاً ولا يذوق منه قطرة و كذلك حال من يدعو غير الله مع ما يدعوهم من دونه لا يحصل على طائل "[2]

جاء في إعجاز القرآن للرماني قوله: "والتشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ولا يخلو من التشبيه من أن يكون عقدا في قوله أو في النفس... و التشبيه على وجهين تشبيه بلاغة و تشبيه حقيقة فتشبيه البلاغة كتشبيه أعمال الكفار في حياتهم الدنيا بالسراب، وتشبيه الحقيقة كقولك هذا الدينار كهذا الدينار فخذ أيهما شئت".

و نحن نذكر بعض ما جاء في القرآن الكريم من التشبيه فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: 39].

فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه و قد اجتمعا في

(1) المرجع نفسه، ج3، ص157.
(2) أضواء البيان، ج8،ص66.

بطلان المتوهم مع شدة الحاجة و عظم الفاقة وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه "..

ومن ذلك قوله: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: 18].

فهذا بيان أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة ثم تحدث الرماني عن حال الكافر الذي انسلخ من آيات الله في قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فالكلب لا يطيعك في تركه اللهث حملت عليه أو تركته وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عنف "[1].

وقال الله واصفاً المشركين والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء وما هو ببالغه قال الرماني: "فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة والحسرة بما يفوت من درك الطلبة،... وقال عز وجل: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [الأعراف: 171].

و هذا بيان قد أخرج ما لا تجري به العادة الي ما قد جرت به العادة، و قد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة[2] والتشبيه واضح في هذه الصورة. كما قال الرماني في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،للرماني ، والخطابي ، والجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله ، د / محمد زغلول دار المعارف القاهرة ، ط 8، ص 80-82 بتصرف.

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القران ، ص82-83 .

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

"وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة و البهجة ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر وفي أنّ كل فانٍ حقير وإن طالت مدته، و صغير وإن كبر قدره" (1)

وكذلك وصف الرماني الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]، "فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمعا في شدة الإعجاب ثم في التعبير بالانقلاب، وفي ذلك الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها" (2)

وعن وصف المشركين في حياتهم الدنيا قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 41]، قال: "فهذا تشبيه قد أخرج من لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بالبديهة وقد اجتمعا في ضعف المعتمد ووهاء المستند، وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين، مع الشعور بما فيه التوهين"(3).

تحدث سيد قطب في التصوير الفني في القرآن بريشة الفنان المبدع فنجده يصف الذين ينفقون اموالهم رياءً في حياتهم الدنيا في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ [البقرة: 264]، كما وصف المؤمنين الصادقين في إنفاقهم في حياتهم الدنيا في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ

(1) المرجع نفسه، ص 84.
(2) المرجع نفسه، ص 84.
(3) ثلاث رسائل في إعجاز القران، ص 84.

فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: 265].

قال سيد قطب "... ويدعهم يتملون هيئة الحجر الصلب المستوي قد غطته طبقة خفيفة من التراب فظنت فيه الخصوبة فإذا وابل من المطر يصيبه، وبدلاً من أن يهيئه للخصب والنماء كما هي شيمة الأرض حين تجودها السماء إذا به كما هو المنظور فيتركه صلدا وتذهب تلك الطبقة الخفيفة التي كانت تستره و تخيل به الخير والخصوبة، ثم يمضي في التصوير لإبراز المعنى المقابل لمعنى الرياء ومعنى الذهاب بالصدقة التي يتبعها المن والأذى ... فهنا الوجه الثاني للصورة والصفحة المقابلة للصفحة الأولى، فهذه الصدقات التى تنفق ابتغاء مرضاة الله هى في هذه المرة كالجنة لا كحفنة من تراب، وإذا حفنة التراب هناك على وجه صفوان فالجنة هنا فوق ربوة و هذا هو الوابل مشتركاً بين الحالتين، و لكنه في الحالة الأولي يمحو و يمحق، و في الحالة الثانية يربي و يخصب "(1)

وعن قوله تعالى في الإنفاق : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 171]، قائلاً : "فيرسم (يعني أن الله فعل ذلك) صورة الحرث تأخذه الريح فيها برد يضرب الزرع والثمار فيهلكها، فلا ينال صاحب الزرع منه ما كان يرجو بعد الجهد فيه كالذي ينفق ماله وهو كافر يرجو الخير في ما أنفق فيذهب الكفر بما كان يرجوه "(2)

و يواصل سيد قطب حديثه عن قوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: 14].

وهى صورة تلح على الحس و الوجدان و تجتذب إليها الالتفات فلا يستطيع أن يتحول عنها إلا بجهد و مشقة، و هي من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها

(1) التصوير الفني في القران، سيد قطب، ص40.
(2) التصوير الفني في القران، سيد قطب، ص41.

الألفاظ، شخص حي شاخص باسط كفيه إلى الماء و الماء من قريب، يريد أن يبلغه فاه ولكن لا يستطيع "[1]

وهذه كلها صور في الحياة الدنيا، كان الإعجاز البياني واضحاً في عكسه لها بدقة متناهية.

وعن قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171] ... هكذا ينعق الكفار بما لا يسمع، وينادون ما لا يفهم، فهؤلاء الآلهة لا يميزون بين الأصوات ولا يفهمون مراميها، وهذا مثل و لكنه صورة شاخصة صورة جماعة يدعون آلهة تصل إليها أصواتهم مبهمة فلا تفهم مما وراءها شيئاً... و يحسم القرآن ضعف الآلهة أو الأولياء من دون الله عامة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]، فهم عناكب ضئيلة واهية تأوي من حمى هؤلاء الآلهة او الأولياء إلى بيت كبيوت العنكبوت أوهن وأضأل، ولكنهم لا يعلمون حتى هذه البديهية المنظورة، فهم يضيفون إلى الضعف والوهن جهلاً وغفلة، حتى ليعجزون عن إدراك البديهي المنظور "[2] وعن قوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]، يقول سيد قطب: "هكذا في ومضة يخر من السماء من حيث لا يدري أحد ،فلا يستقرعلى الارض لحظة، إن الطير لتخطفه، أو إن الريح لتهوي به وتهوي به في مكان سحيق ! حيث لا يدري أحد كذلك! وذلك هو المقصود"[3].

وتستمر هذه الأوصاف البديعة عن الحياة الدنيا وما أشتملت عليه من مظاهر الإيمان والكفر والإنفاق في سبيل الله، وثبات العقيدة وتزعزعها إلى غير ذلك من

(1) المرجع نفسه، ص 41.
(2) المرجع نفسه، ص 42-43.
(3) المرجع نفسه، ص43.

الأوصاف فيصور لنا القرآن تزعزع العقيدة في النفوس في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: 11]، قال سيد قطب: "إن الخيال ليكاد ليخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع لأنها تنطبع في الحس وتتصل منه بالنفس" (1)

أما حال المسلمين في تفرقهم حينما كان على الكفر قبل أن يسلموا كما في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: 103].

يقول سيد قطب: " هكذا كنتم على شفا حفرة من النار موشكين على الوقوع تكاد أقدامكم تزل فتهوون... ثم تنظر إلى جمال التعبير من زاوية أخرى، إذ يرسم هذه الصورة ثم يجعل هذه الحفرة من النار، ويجعلهم على شفا منها فيطوي الحياة الدنيا كلها، وهي الفاصل بينهم و بين النار ويجعلهم وهم بعد أحياء واقفين هذه الوقفة على حفرة من النار حينما كانوا كفار" (2)

و هناك صورة تظهر في المقارنة بين من أسس بنيانه على تقوى من الله و من أسس بنيانه على غير التقوى كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: 109].

يقول سيد قطب مقارناً هذه الصورة بسابقتها: "(فانهار به في نار جهنم) وبذلك طوى الحياة الدنيا كلها دون أن يذكر ولو كلمة (ثمّ) في موضع الفاء (فانهار)

(1) التصوير الفني، ص 45-46.
(2) المرجع نفسه، 46-47.

لأن هذا المدى الطويل قصير قصير، حتى لا ضرورة لهذا التراخي القصير، وهذا فن من جمال العرض"[1] ولا شك هناك استعارة تمثيلية في هذه الصورة.

و هناك صور تبين لنا ما أصاب الأمم السابقة من عقوبات دنيوية علها تكون عبرة لمن يعتبر قال تعالى: ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر: 20]، "يعني صرعهم فكبهم على وجوههم كأنهم أصول نخل منقلع من الأرض فشبههم لطول كل واحد منهم بالنخل الساقطة "[2] ففي تفسير البيضاوي: "... وقيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم و طرحت أجسادهم"[3]

في قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 7]، جاء في تفسير الصابوني "من التشبيه المرسل و المجمل [4]

و عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: 30]، "كالشجر اليابس المنكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لما شيته في الشتاء"[5].

و في تفسير الطبري: "كهشيم محترق"[6].

كما صور القرآن حال المعرضين عن الدعوة إلي الإسلام و القرآن بحال حمر مستنفرة فقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ • فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: 50-51]، ففي أضواء البيان: " تشبيه المدعوين في إعراضهم عن الدعوة و التذكرة بالحمر الفارة من الصيادين أو الأسد "[7].

وفي تفسير الصابوني: " من التشبيه التمثيلي... لأن وجه الشبه منتزع من متعدد و هو من روائع صور التشبيه "[8]

(1) المرجع نفسه، ص 47.
(2) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي دار الفكر، بيروت، ج 3، ص 352-353.
(3) تفسير البيضاوي، دار الفكر بيروت، ج 5، ص267 .
(4) تفسير الصابوني، صفوت التفاسير، ج3، ص284، ترقيم المكتبة الشاملة.
(5) تفسير البيضاوي، ج5، ص268.
(6) تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ،200م، ج22، ص294.
(7) أضواء البيان، ج8، ص368.
(8) تفسير الصابوني، ج3، ص431.

وهنالك تشبيه للمؤمنين في تآزرهم ووحدتهم تجاه الكافرين في حياتهم الدنيا لنصرة الدين وإبلاغ الدعوة كما في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الفتح: 29]، "... هو تشبيه للمؤمنين بالزرع الذي يستغلظ فيقوم على سوقه، ويثبت الخير الكثير "[1].

و جاء في كتاب من بلاغة القرآن عن هذه الصورة: "فوجه الشبه هو التدرج في النمو و التحول من القلة إلى الكثرة، هذا الوجه منتزع من هذه الصفات المتعددة في المشبه و المشبه به"[2].

وهناك صورة بلاغية في تشبيه حال المنافقين في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: 17]، فإنه شبه حال المنافقين بحال المستوقد، ووجه الشبه والهيئة الحاصلة من وجود هداية قصيرة يعقبها حيرة، مأخوذة من عدة أمور مجتمعة تتمثل في صور المشبه (حال المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ثم يصورون إلى ما كانوا عليه من الكفر)، وصورة المشبه به والتي تتمثل في حال الساري الذي يوقد النار ليلاً فيعرف طريقه ثم لم يلبس أن يذهب هذا الضوء فيعم الظلام فأصبح في تخبط وتردد"[3].

وفي قوله تعالى عن تصوير حال المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: 4].

جاء في تفسير الكشاف: "قلت: شبهوا في استنادهم و ما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط، لأن الخشب إذا انتفع به كان

(1) زهرة التفاسير، للامام محمد أبوزهرة دار الفكر العربي، ج1، ص973.
(2) من بلاغة القران ،د محمد شعبان علوان و د نعمان شعبان علوان ،ط2، 1998م ،ص170.
(3) المرجع نفسه ، ص 183.

في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، و ما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حسن صورهم و قلة جدواهم"[1] و في تفسير القرطبي: "شبههم بخشب مسندة إلى الحائط لايسمعون ولايعقلون، أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام،"[2] وفي تفسير الصابوني: "من التشبيه المرسل المجمل و هو من روائع التشبيه"[3].

(1) الكشاف للزمخشري ،ج4، ص542 .
(2) تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن لأبي محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، بيروت لبنان ، 1405ه، ، 1985م ،ج18،ص125.
(3) صفوة التفاسير للصابوني، ج 3، ص358.

المبحث الثاني

المجازات والاستعارات والكنايات

أولاً: الصور البيانية للمجاز:

مفهوم المجاز في البلاغة:اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسداً.

هنالك عدد من الصور البيانية المتمثلة في المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة في مواضع متفرقة لها علاقة بتصرفات البشرية في الحياة الدنيا، ففي قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾ [النساء: 2]، جاء في أضواء البيان: " أمر لله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامي أموالهم، و لم يشترط هنا في ذلك شرط، ولكنه بين هذا أن هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين، الأول بلوغ اليتامى، و الثاني إيناس الرشد منهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [النساء: 6]، وتسميتهم يتامى في الموضعين، إنما هو باعتبار يتمهم الذي كانوا متصفين به قبل البلوغ، إذ لا يتم بعد البلوغ إجماعاً "[1]

ولا شك هذا عند البلاغيين مجاز مرسل علاقته اعتبار ماكان. وفي تفسير الكشف والبيان" أي مان كانوا يتامى إذا بلغوا وآنستم منهم رشداً " [2]

وجاء في صفوة التفاسير: "والمجاز المرسل في و(آتوا اليتامى أموالهم) أي الذين كانوا يتامى فهو باعتبار ما كان، وكذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء: 10]، مجاز مرسل باعتبار

(1) أضواء البيان، ج1، ص220.
(2) الكشف و البيان، ج3،ص243.

ما يئول إليه. كقوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦]، أي عنباً يئول إلى الخمر[1]

و في تفسير بحر العلوم في قوله: "إنما يأكلون في بطونهم ناراً أي يأكلون في عاقبتهم ناراً"[2].

و في تفسير الكشاف في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 19]، (... فإن قلت رأس الأصبع هو الذي يجعل في الأذن فهلا قيل أناملهم ، فقلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: 6].

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: 38][3] وهذا عند البلاغيين من المجاز المرسل و علاقته الكلية و إرادة الجزء. و في رأي الصابوني من المجاز المرسل و هو من إطلاق الكل و إرادة الجزء، أي رؤوس أصابعهم.[4]

وفي سورة يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف: 82]، يعني أهل القرية التي كنا فيها. [5]

(1) صفوة التفاسير، ج1، ص168.
(2) بحر العلوم، ج1، ص415.
(3) الكشاف، ج1، ص117.
(4) صفوة التفاسير، ج1، ص19.
(5) الكشف و البيان، ج5، ص246.

وفي تفسير اللباب "واسأل القرية يحتمل ثلاثة أوجه أشهرها على حذف مضاف أي و اسأل أهل القرية وأهل العير، وهو مجاز شائع قاله ابن عطية وغيره.[1] ولاشك هذا المجاز علاقته المحلية فأطلق المحل وأراد الحالّ به. وفي المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: 2]، فبين تعالى أن اليتامى البالغون و استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: 6]، والإستشهاد لا يكون إلا بعد البلوغ.[2] و جاء في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 144].

"المراد من الوجه ههنا جملة بدن الإنسان لأن الواجب على الإنسان أن يستقبل القبلة بجملته، لا بوجهه فقط، والوجه يذكر ويراد به نفس الشيء لأن الوجه أشرف الأعضاء ولأن بالوجه تميز بعض الناس عن بعض، فلهذا السبب قد يعبر عن كل الذات بالوجه "[3] وعند البلاغيين مثل هذا المجاز علاقته الجزئية. وعن قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: 185].، فقد قال الفخر الرازي: "... من شهد جزءاً من أجزاء الشهر فليصم كل الشهر، فعلى هذا من شهد هلال رمضان، فقد شهد جزءاً من أجزاء الشهر... و ليس

(1) اللباب في علوم الكتاب، ابو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 1419هـ 1998م ،ج11،ص186.
(2) المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي ،د أحمد هنداوي هلال ،مكتبة وهبة ،ط1420،1هـ 1999م ،ص214 .
(3) المرجع نفسه ، ص219.

فيه إلا حمل لفظ الكل على الجزء، و هو مجاز مشهور"[1] لأن حركة الحياة الدنيا تعتمد على التقويم القمري أو الشمسي.

ثانياً: الصور البيانية للاستعارات:

مفهوم الاستعارة: الاستعارة عند علماء البيان هي مجاز يكون علاقة استعماله في غير ما وضع له التشبيه بأن يقصد استعماله في ذلك بسبب مشابهته لما وضع له.

وجاء في رسالة إعجاز القرآن للرماني "الاستعارة تعليق العبارة علىٰ غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[2] وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾ [الأعراف: 154]، وحقيقتة انتفاء الغضب والاستعارة أبلغ لأنه انتفاء مراصد بالعودة فهو كالسكوت على مراصدة الكلام بما توفيه الحكمة في الحال فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره"[3].

و في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: 12]، "فمبصرة هاهنا استعارة وحقيقتها مضيئة، وهى أبلغ من مضيئة"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: 4]، "أصل الاشتعال للنار وهو في هذا الموضع أبلغ وحقيقته كثرة شيب الرأس "[5] وفي قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧]، نسلخ مستعار وحقيقته يخرج منه النهار و الاستعارة أبلغ لأن السلخ إخراج الشيء مما لابسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به فكذلك قياس الليل"[6].

(1) المباحث البيانية، ص224.
(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص85.
(3) المرجع نفسه، ص 87-88.
(4) المرجع نفسه، ص88.
(5) المرجع نفسه، ص88.
(6) المرجع نفسه، ص 89.

وفي قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤]، "فهذا مستعار وحقيقته حتى يضع أهل الحرب أثقالها، فجعل و ضع أهلها الأثقال و ضعاً لها على جهة التفخيم لشأنها" [1] وفي تقديري هذا إلى المجاز المرسل أقرب و ربما يحتمل الكناية عن صفة. وفي قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢]، "حقيقته حصلت عليهم الذلة، الاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة" [2] وهذا كناية عن نسبة. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، "كل خوض ذمه الله سبحانه وتعالى في القرآن فلفظه مستعار من خوض الماء، وحقيقته يذكرون آياتنا، والاستعارة أبلغ لإخراجه إلى ما تقع عليه المشاهدة من الملابسة لأنه لا تظهر ملابسة المعاني لهم كما تظهر ملابسة الماء لهم" [3].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾ [التوبة: ١٠٩]، "كل هذا مستعار وأصل البنيان إنما هو للحيطان وما أشبهها و حقيقته اعتقادهم الذي عملوا عليه، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بما يحس ويتصور" [4] وفي قوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١]، "كل ما جاء في القرآن من ذكرٍ من الظلمات إلى النور فهو مستعار، وحقيقته من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار" [5]. ويرى بعضهم أنه من الضلال إلى الهداية، أي من ظلّام الجهل إلى نور الهداية.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، "واد هنا مستعار و كذلك الهيمان، و هو من أحسن البيان، وحقيقة يخلطون فيما يقولون لأنهم

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص90.
(2) المرجع نفسه، ص 90-91.
(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص91.
(4) المرجع نفسه، ص 91.
(5) المرجع نفسه، ص92.

ليسوا على قصد لطريق الحق، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخليط الإنسان بالهيمان في كل واد يعن له فيه الذهاب" [1]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، "حقيقته لا تمنع نائلك كل المنع، والاستعارة أبلغ لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق، وذلك مما يحسن حال التشبيه فيه بالمنع فيهما إلا أنَّ حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره"[2] وهذا لا شك يدخل في باب الكناية عن صفة. فنجد الرماني يخلط أحياناً بين المجاز والاستعارة و الكناية.

ففي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، "هذا استعارة حقيقتة أطرقوا للمذلة عند لزوم الحجّة، إلا أنه بولغ في العبارة بجعلهم كالواقع على رأسه للحيرة بما نزل به من الأبدة " [3]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، "فهذا مستعار و حقيقته ، ندموا لما رأوا من أسباب الندم إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس لما يوحي الندم بما سقط في اليد، فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب من الوبال"[4] فهذا المثال وسابقه من الكنايات يؤكد ما ذهبت إليه من أن الرماني يخلط أحياناً بين مفهوم الاستعارة و الكناية.

وفي تفسير الصابوني في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ [الإسراء: ٢٩]، قال هو من الاستعارة التمثيلية... مثل للبخيل بالذي حبست يداه عن الإعطاء و شدت إلى عنقه بحيث لا يقدر على مدها، وشبه السرف ببسط الكف بحيث لا تحفظ شيئاً "[5].

(1) المرجع نفسه ، ص92-93.
(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ،ص93 .
(3) ثلاث رسائل ،ص94.
(4) المرجع نفسه ،ص94.
(5) الصابوني ، ج 2، ص 131.

ثالثا: صور الكناية في آي الذكر الحكيم المرتبطة بالحياة الدنيا:

في قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٩].

فقد جاء في أضواء البيان: "أي لاوٍ عنقه عن قبول الحق استكباراً وإعراضاً"[1] أما عن الطبري قوله: "واختلف أهل التأويل في المعني الذي من أجله وصفه بأنه يثني عطفه، فقال بعضهم وصف بذلك لتكبره، وذكر عن العرب أنها تقول جاءني فلان ثاني عطفه إذا جاء متبختراً من الكبر "[2] وفي تفسير الصابوني: "(ثاني عطفه) كناية عن التكبر والخيلاء"[3]

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]، جاء في في أضواء البيان أي "لا تمل وجهك عنهم استكباراً عليهم "[4] وفي تفسير الرازي " إشارة إلى عدم التكبر والتبختر "[5]

وقد صور القرآن انشراح صدر المؤمن للإسلام وضيق صدر الكافر في الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: 125]، جاء في أضواء البيان: "والذي يشهد له القرآن أن الشرح هو الانشراح و الارتياح، وهذه حالة نتيجة استقرار الإيمان والمعرفة والنور والحكمة كما في قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر: 22]، بيان لشرح الصدر للإسلام، كما أن ضيق الصدر دليل على الضلال."[6] وهذا التصوير بديع و مقابلة بين حالين مختلفين.

وجاء في تفسير البيضاوي: "فمن يرد الله أن يهديه يعرّفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع له ويتفسح فيه مجاله وهو كناية عن

(1) أضواء البيان، ج4، ص 280.
(2) تفسير الطبري، ج18، ص573.
(3) صفوة التفاسير، ج2، ص 216.
(4) أضواء البيان، ج 4، 281.
(5) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1421هـ 2000م، ح 25، ص132.
(6) أضواء البيان، ج8، ص573.

جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه"[1].

وفي تفسير الصابوني: "يشرح صدره للإسلام، الشرح كناية عن قبول النفس الحق والهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم و بين لفظ الشرح والضيق طباق و هو من المحسنات البديعية"[2].

أما عن العلاقات الزوجية فقال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223]، قال صاحب بحر العلوم: (ثم قال عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]، مزرعة لكم للولد فأتوا حرثكم والحرث في اللغة للزرع فسمى النساء حرث على وجه الكناية أي هنا الولد كالأرض للزرع"[3].

وقال الفخر الرازي: "حرث لكم أي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج والحرث مصدر"[4].

وعن قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]، "في تفسير الطبري والإتيان في هذا الموضع كناية عن الجماع" [5].

قال صاحب الكشاف: "حرث لكم و هذا مجاز شبهت بالمحارث تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور"[6].

وفي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: 187].

قال الطبري: "الرفث كناية عن الجماع في هذا الموضع"[7].

(1) تفسير البيضاوي، ج2،ص450.
(2) صفوة التفاسير، ج1 ،ص276.
(3) تفسير بحر العلوم، ج1، ص173.
(4) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ،ج6،ص61.
(5) تفسير الطبري، ج4، ص298.
(6) لكشاف للزمخشري، ج1، ص294.
(7) جامع البيان للطبري، ج3، ص487.

وفي تفسير القرطبي: "جاء في قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197]، «والرفث التصريح بذكر الجماع والإعراب به»[1].

وفي تفسير البيضاوي: «الرفث كناية عن الجماع»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: 237]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 3]، "فالمماسة كناية عن اسم الجماع"[3].

وفي الكشاف: "جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه"، كقوله: "من قبل أن تمسوهن، أو لامستم النساء"[4].

وفي تفسير الصابوني: "كنى عن الجماع بالمس"[5].

(1) تفسير القرطبي، ج2، ص315.
(2) تفسير البيضاوي، ج1، ص468.
(3) جامع البيان، ج5، ص118.
(4) الكشاف، ج3، ص11.
(5) صفوة التفاسير، ج3، ص47.

المبحث الثالث

الصور الكونية في آي الذكر الحكيم

الطبيعة الكونية مظهر من مظاهر الإبداع و آية من آيات الله التي تقود إلى معرفة الخالق الذي أحسن كل شئ خلقه و هدى. فهناك من الآيات التي تشتمل على عدد من مظاهر الطبيعة ففي قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: 18]، قال الرماني: "وتنفس ههنا مستعار و حقيقته إذا بدأ انتشاره، وتنفس أبلغ منه ومعنى الابتداء فيهما، إلا أنه في التنفس أبلغ لما فيه من الترويح عن النفس"[1] وقد قال سيد قطب: "هذا هو الصبح يتنفس فيخيل إليك هذه الحياة البديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه و هو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض و السماء"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾ [النبأ: 10]، "فيه استعارة حسنة...، وقال القفال: أصل اللباس هو الشئ الذي يلبسه الإنسان، ويتغطي به، فيكون ذلك مغطياً، فكما كان الليل ليغشى الناس بظلمته جعل لباساً لهم، فلهذا الليل لباساً على وجه المجاز"[3] يعني الستر و الحفظ وهذه غاية المؤمن في حياته الدنيا.

وفي تفسير الفخر الرازي: "سمي الليل لباساً على وجه المجاز والمراد كون الليل ساتراً"[4] وفي قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [القمر: 11]، "جاء في تفسير الصابوني" من الاستعارة التمثيلية، ففتحنا أبواب السماء، شبه تدفق المطر من السماء بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء و انشق بها أديم الخضراء بطريق الاستعارة"[5].

وفي تقديري هذا تصوير بديع فكأن للسماء أبواب حسية.

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص90.
(2) التصوير الفني، ص73.
(3) اللباب في علوم الكتاب، ج20، ص96.
(4) مفاتيح الغيب للرازي، ج31، ص8.
(5) صفوة التفاسير، ج3، ص284.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [الشورى: 32]، "أي كالجبال، شبه السفن بالجبال لعظمها"[1] وفي تفسير الصابوني: "هذا من التشبيه المرسل المجمل"[2] كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [الرحمن: 24].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: 40]، جاء في نظرية التصوير الفني: "وفي هذا المشهد المصور العجيب الحافل بالحركة والحياة يبين حال الكفار ومآلهم، ويرسم صورة لهم وهم يتحركون في ظلمات منقطعين عن نور الله، وهم يتخبطون في ضلال لا تعرف قلوبهم طريق الهداية"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [فصلت: 39].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: 5]، قال سيد قطب: "وهكذا تستحيل الأرض الجامدة كائناً حياً بلمسة واحدة ولفظة واحدة"[4].

و قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ﴾ [غافر: 13]، جاء في أضواء البيان "أطلق جل وعلا في هذه الآية الكريمة الرزق وأراد المطر لأن المطر سبب الرزق و إطلاق المسبب و إرادة سببه لشدة الملابسة بينهما أسلوب عربي معروف"[5] وفي اللباب: "يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق"[6].

(1) أضواء البيان، ج7،ص73.
(2) صفوة التفاسير،ج3،ص182.
(3) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي دار الفرقان،ط1،1407هـ 1983م، ص214.
(4) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق،1415هـ 1985م، ص74.
(5) أضواء البيان، ج6،ص377.
(6) اللباب، ج17، ص22.

قال تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ ﴾ [الدخان: 29]، وقال بعضهم فما بكت عليهم السماء و الأرض، يعني أهل السماء وأهل الأرض، فأقام السماء و الأرض مكان أهلها، كما قال: "واسأل القرية"(1).

وفي قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 273]، جاء في نظرية التصوير الفني: "تصوير نموذج إيماني في العزة... إنها صورة عميقة الإيحاء و هي صورة كاملة ترتسم على استحياء و كل جملة تكاد تكون لمسة ريشة ترسم الملامح و السمات وتشخص المشاعر و الانفعالات"(2).

وفي قوله تعالى: ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾ [الأعراف: 54]، جاء في تفسير الصابوني: "أي يغطي الليل على النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعاً حتي يدركه، والتعبير جاء في روعة الإبداع الفني، كأن الليل والنهار فارسان يتسابقان كل واحد منهما يريد سبق الآخر وهو تعبير مدهش عن تعاقب الليل والنهار بطريق التمثيل الرائع"(3) ولاشك في (يطلبه حثيثاً) استعارة جميلة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف: 42]، جاء في تفسير اللباب: "وأحيط بثمره، أي أحاط العذاب بثمر جنته، وهو عبارة عن إهلاكه بالكلية... وقوله: (يقلب كفيه)... وهذا كناية عن الندم"(4) وقد صور لنا سيد قطب هذا المشهد تصويراً بديعاً قائلاً: "لقد استجاب الله دعوة المؤمن المتحدى بلا ضرورة فلنشهد صاحبنا شاخصاً يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ولندعه يندم"(5).

(1) بحر العلوم، ج3، ص203.
(2) نظرية التصوير الفني، ص225.
(3) صفوة التفاسير، ج1، ص298.
(4) اللباب، ج12،ص495.
(5) التصوير الفني، ص56.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: 122]، جاء في تفسير الصابوني: "الموت والحياة والنور والظلمة من باب الاستعارة"(1).

ولنقف مع تصوير حال المؤمنين الصادقين في إنفاقهم في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 261]، جاء في بحر العلوم: "... فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله تعالى بكل صدقة سبعمائة حسنة "(2) وجاء في زهرة التفاسير: "... وقد ذكر الزمخشري وغيره من المفسرين: أن التشبيه ليس بين الذين ينفقون و الجنة، بل بين الصدقة نفسها و الحبة، فالكلام فيه مضاف محذوف مقدر في القول، وتقديره مثل صدقة الذين ينفقون في سبيل الله، فقد شبه سبحانه الصدقة التي تنفق في سبيل الله بحبة تلقى في الأرض فتخرج عوداً مستوياً قائماً تتعلق به سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة "(3).

و في قوله تعالى: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ [النبأ: 7]، "أي وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض تثبيتاً لها لئلا تميد بكم كما يثبت البيت بالأوتاد"، قال في التسهيل: "شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد"(4).

وفي تعاقب. الليل و النهار قال سيد قطب في ظلال القرآن: "مشهد الليل والنهار متعاقبين هذا يغشي ذاك، في انتظام عجيب، هو ذاته مثار تأمل في مشاهد الطبيعة"(5).

(1) صفوة التفاسير، ص276.
(2) بحر العلوم، ج1،ص200.
(3) زهرة التفاسير ،ج1،ص971.
(4) صفوة التفاسير، ج3،ض451.
(5) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج4،ص152، ترقيم المكتبة الشاملة.

خاتمة

لقد تم البحث بتوفيق الله سبحانه وتعالى في تناول معظم الآيات القرآنية التي تصف الحياة الدنيا وما فيها خاصة المرتبطة بعلم البيان.

فقد اتضح من البحث الوقوف على النصوص القرآنية وتحديد الصور البيانية، و من بعد ذلك المعاني الدلالية مستفيداً من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ومن ثمّ كانت النتائج التالية:

1. تنوع الصور البيانية خاصة التي تصف الحياة الدنيا في علم البيان.
2. معظم الصور البيانية كانت من التشبيهات؛ خاصة تشبيه التمثيل.
3. كثير من الصور البيانية تنقل لنا الصورة من المعنوي إلى المحسوس.
4. يتضح من الصورة البيانية الإعجاز القرآني و المعاني الواضحة التي يستفيد منها القارئ.

وفي الختام بما أن هذا البحث اهتم بالصور البيانية في النصوص القرآنية المرتبطة بعلم البيان لذا أوصي الباحثين من بعدي بالبحث والدراسة في علمي المعاني والبديع من خلال النصوص القرآنية التي تصف الحياة الدنيا.

المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القران، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر بيروت،ط 1416هـ،1996م.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر بيروت لبنان،1415هـ، 1995م.
3. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي دار الفكر، بيروت.
4. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، 1405هـ 1985م .
5. تفسير ابن كثير، دار الفكر، ط 1414هـ، 1994م.
6. تفسير البيضاوي، دار الفكر بيروت.
7. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ، 2000م.
8. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن لأبي محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت لبنان، 1405هـ، 1985م.
9. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،للرماني، والخطابي، والجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، د/ محمد زغلول دار المعارف القاهرة، ط 8، ص 80–82 بتصرف.
10. زهرة التفاسير، للامام محمد أبوزهرة دار الفكر العربي.
11. صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، (المكتبة الشاملة).
12. في ظلال القرآن، سيد قطب (المكتبة الشاملة).
13. الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم محمود الزمخشري، دار النشر إحياء التراث العربي بيروت.
14. الكشف و البيان، ابو اسحاق احمد بن محمد الثعلبي النيسبوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1،، 1422هـ، 2002م.

15. اللباب في علوم الكتاب، ابو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 1419هـ 1998م.
16. المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي، د/ أحمد هنداوي هلال، مكتبة وهبة، ط1420هـ 1999م.
17. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة،1428هـ 2007م.
18. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1421هـ 2000م.
19. من بلاغة القران، د/ محمد شعبان علوان ود/ نعمان شعبان علوان، ط2، 1998م.
20. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي دار الفرقان،ط،1407هـ 1983م.